صيد الخاطر

225 - ـ فصل : الدنيا ميدان سباق .

تأملت حالة عجيبة و هو أن أهل الجنة الساكنين في أرضها في نقص عظيم بالإضافة إلى من فوقهم و هم يعلمون فضلا أولئك .

فلو تفكروا في ما فاتهم من ذلك وقعت الحسرات غير أن ذلك لا يكون لأن ذلك لا يقع لهم لطيب منازلهم و لا يقع في الجنة غم .

و يرضى كل بما أعطي من وجهين : أحدهما أنه لا يظن أن يكون نعيم فوق ما هو فيه و إن علت منزلة غيره و الثاني أنه يحبب إليه كما يحبب إليه ولده المستوحش الخلفة فإنه يؤثره على الأجنبي المستحسن .

إلا أن تحت هذا معنى لطيفا و هو أن القوم خلقت لهم همم قاصرة في الدنيا عن طلب الفضائل يتفاوت قصورها .

فمنهم من يحفظ بعض القرآن و لا يتوق إلى التمام و منهم من يسمع يسيرا من الحديث و منهم من يعرف قليلا من الفقه و منهم من قد رضي من كل شيء بيسيره و منهم مقتصر على الفرائض و منهم قنوع بصلات ركعتين في الليل و لو علت بهم الهمم لجدت في تحصيل كل الفضائل و نبت عن النقص فاستخدمت البدن كما قال الشاعر : .

(و لكل جسم في النحول بلية ... و بلاء جسمي من تفاوت همتي) .

و يدل على تفاوت الهمم أن في الناس من يسهر في سماع و لا يسهل عليه السهر في سماع القرآن .

و الإنسان يحشر و معه تلك الهمة فيعطى على مقدار ما حصلت في الدنيا لم تتق إلى الكمال و قنعت بالدون قنعت في الآخرة بمثل ذلك .

ثم إن القوم يتفكرون بعقولهم فيعلمون أن الجزاء على قدر العمل و لا يطمع من صلى ركعتين في ثواب من صلى ألفا .

فإن قال قائل : فكيف يتصور لها ألا تروم ما ناله من هو أفضل منها ؟ .

قلت : إن لم يتصور نيله يتصور الحزن على فوته .

و هل رأيت عاميا يحزن على فوات الفقه حزنا يقلقه ؟ هيهات .

لو كان ذلك الحزن عنده لحره إلى التشاغل .

فليس عندهم همة توجب الأسف مع أنهم قد رضوا بما فيه فافهم ما قلته و بادر فهذا ميدان السباق